

أخشي

لم تهت بعد

مونيا بنو منيرة



أخشي لم تمت بعد

تصميم الغلاف: سفيان ل

إصدار: writelegant.com

كل الحقوق محفوظة ©

تخبرني أختي كل ليلة بأن هنالك صوتاً يصدرُ من القبو
وتطلب مني النزول إليه..

بيدو طلباً عادياً لو لم تكن أختي ميتة. بدأت القصة حين
كنا أطفالاً نلهو ونلعب ونركض في أرجاء المنزل. وفي تلك
الليلة كنا نلعب لعبة الاختباء وكان دوري حينها في العد
التنازلي لتركض أختي من الغرفة وتختبئ في المدخل
السفلي الخاص بالقبو. كان مخبئاً سهل الاكتشاف فلم أجد
صعوبةً في إيجادها ولكنني حين وجدتها واقتربت منها
لأعلن لها فوزي في اللعبة نظرت لي وهي شبه باكية
وأخبرتني بأن هنالك صوتاً يناديها صادرٌ من القبو الذي
خلفها..

في البداية ظننتها تتهرب من خسارتها في اللعبة فتركته
عند الدرج وصعدتُ الى الغرفة العلوية لأشاهد أفلام
الكرتون، وكانت أمي حينها تُعدّ العشاء ولما فرغت من
إعداده صعدت أمي للغرفة وأخبرتني بأن أنزل لتناول
العشاء..، ثم سألتني عن أختي الصغيرة فأخبرتني بأنني
تركته عند مدخل القبو..

كل شيء كان طبيعاً في ذلك اليوم عدا صرخة أمي التي هزّت أركان المنزل... ركضت الى القبو حيث سمعتُ صُراخ أمي لأجد أختي الصغيرة مرمية على الأرض وسط دمائها. بعد قليلٍ من الوقت جاءت سيارات الشرطة والإسعاف الى المنزل وقاموا بوضع غطاءٍ أبيض اللون فوق أختي... لم أكن أدري حينها ما معنى أن يموت الشخص فاقتربت من رجال الإسعاف الذين وضعوا أختي على النقالة وقلت لهم بأن أمي ستغضب لو خرجت أختي من المنزل من دون أن تستأذنها في الخروج.. فأجابني الرجل بنظرات من العطف والشفقة..

لم يعثر رجال الشرطة على أي دليل يبيّن هوية الفاعل أما تقرير الطبيب الشرعي يقول بأن سبب الموت هو نزيف داخلي ناتج عن ضربات قوية في جميع أنحاء جسد الضحية..

كانت جدران القبو مليئةً بدماء أختي وكأنّ أحداً ما أمسكها من قدمها وبدأ يرطمها بتلك الجدران بطريقةٍ

وحشيّة أو أنها كانت تُقذف من جدارٍ لآخر حتى تكسّرت
أضلاعها الرقيقة..

اسمي هو "جون"، أبلغ من العمر تسع عشرة سنة وأقطن
في مقاطعة دالاس الحاصلة في ولاية تكساس. لكن بعد
موت أختي بتلك الطريقة البشعة انتقلنا للعيش في مدينة
هيوستن والتي تبعد عن منزلنا القديم مسافة مئتي
كيلومتر

في الصيف الماضي تشاجرت مع عائلتي وخرجت من
المنزل غاضباً فذهبت للنوم في منزل "ريتا" صديقتي
المقربة وهي الفتاة التي أحبها أيضاً.. أظن بأننا سنصبح
عائلة لطيفة ذات يوم..

قضيت بضعة أيام في منزل ريتا وفي اليوم الخامس
اقترحت عليها بأن ننتقل للعيش في مقاطعة دالاس حيث
يقع منزلنا القديم. كنت قد سرقت مفتاح المنزل من خزانة
أبي قبل خروجي من المنزل.. وما لبثت يومي الخامس
في منزل ريتا حتى ركبنا السيارة وخرجنا الى مقاطعة

دالاس قاصدين منزلي القديم..

وصلنا للمنزل في منتصف ليل ذلك اليوم الحافل حيث كنا منهكين من عناء السفر فدخلنا غرفتي القديمة في الطابق العلوي وغرقنا في نوم عميق. كنت نائماً حين سمعت همساً في أذني يقول: انزل الى القبو يا جون.. أسرع يا جون.. انقذني يا جون. وكان ذلك الهمس يشبه صوت أختي التي قُتلت منذ أكثر من ثلاثة عشر سنة عدا أن صوتها كان عميقاً وكأنه يصدر من داخل كهف ما..

في الثالثة فجراً استيقظت إثر الرياح القوية التي تدخل من النافذة رغم يقيني بأن النافذة كانت مغلقة قبل نومنا.. ولكنني نسيت أمر النافذة حين رأيت صديقتي ريتا تجلس على السرير وتنظر لي من غير حدقات.. فكانت عيناها بيضاء اللون لأحداق بداخلها. اقشعر جسمي من هول ما رأيت وبدأت أصرخ بهستيرية حتى أغمي علي..

في صباح اليوم التالي أيقظتني ريتا بعد أن أعدت كوبين من القهوة.. فتحت جُفناي ونظرت للنافذة فكانت مغلقة

كما كانت.. ثم أمعنت النظر في ريتا فكانت طبيعية جداً..
فقلت في نفسي ربما ما رأيته في الليل كان مجرد
كوابيس لا حقيقة لها وليتها كانت كذلك!..

نهضت من الفراش ونزلت الى المطبخ حيث تنتظرنى ريتا
على الطاولة لنحتسي القهوة. كان كل شيء طبيعياً في
وضح النهار حيث قضينا النهار كله بتنظيف المنزل واعادة
ترتيبه..، أما القبو فكان مقفلاً بإحكام فلم ندخل إليه..

ريتا لم تكن تعلم بقصة أختي التي ماتت في ذلك القبو
وأنا لم اشأ اخبارها بالأمر كي لا تشعر بالخوف الذي اشعر
به في داخلي..

غابت شمس ذلك اليوم مع ألحان الموسيقى البرازيلية
التي وضعتها ريتا على مكبرات الصوت وبدأنا نتراقص
على تلك الألحان كعصفورين يملؤهما الحب..

في تمام الساعة العاشرة مساءً استأذنت من ريتا
المنغمسة في مشاهدة الأفلام في غرفة المعيشة وصعدت

الى غرفتي لأنال قسطاً من الراحة. كنت متعباً جداً تلك
الليلة فما أن استلقيت على السرير حتى أغمضت عيني
وخلدت في نوم عميق..

في منتصف الليل وتحديداً حين دقت ساعة الصفر سمعت
ذلك الصوت يناديني من الأسفل ولكنه لم يكن حلاً هذه
المرة..، كان الصوت يشبه صوت صديقتي ريتا ولكنه
عميق جداً وكأنه صادرٌ من كهفٍ ما..

نهضت من الفراش متتبعا النداء الذي يقول: انزل الى القبو
يا جون.. أسرع يا جون.. انقذني يا جون. كنت أنزل عن
الدرج وجسدي يرتعش خوفاً وكانت عيني تكادان تنبثقان
من شدة التحديق حولي وكم كنت أتمنى بأن ريتا
تمازحني لا أكثر..

وصلت الى غرفة المعيشة حيث كانت ريتا تشاهد التلفاز
لكني لم أرها هناك..، ثم تابعت سيرتي نحو مصدر الصوت
حتى وصلت الى مدخل ذلك القبو المخيف.. في البداية لم
أجرؤ على النزول نحو القبو بل كنت أكتفي بالنظر إلى بابه

الذي كان مفتوحاً بعض الشيء ولكني تغلبت على خوفاي حين سمعت ريتا تناديني من خلف ذلك الباب وتقول: انزل يا جون.. أسرع يا جون. استجمعت ما أحمله من شجاعة ونزلت الى ذلك القبو ويا ليتني لم أفعل..

فتحت باب القبو بهدوء تام في حين كان قلبي يخفق بسرعة كبيرة ثم دخلت باحثاً بعيني عن صديقتي ريتا ولكني لم أرها أمامي إطلاقاً وبعدما يئست من العثور عليها هممت بالخروج من ذلك المكان المخيف إلا أنني لم أصل عتبة الباب حتى سمعت صوتها يناديني من الأعلى وكم كان مشهداً مرعباً حين رأيته معلقةً بسقف القبو وكأنها خفاش أو ما شابه..

كانت أطرافها ملتصقة بسقف الغرفة كالعنكبوت عداً أن رأسها كان متجهاً نحو الأسفل وكأنه منفصل عن عنقها. بعد رؤيتي لريتا بتلك الوضعية المخيفة خرجت أركض خارج المنزل وأنا أصرخ بهستيرية مطلقة كالمجانين.. توجهت الى مركز الشرطة الواقع في منتصف المدينة

وأخذت أسرد لهم ما حدث بصوتٍ مرتبكٍ وخوفٍ شديدٍ.
وبعد أن هدأت بعض الشيء طلب مني ضابط الشرطة أن
أذهب برفقة العناصر حتى أرشدهم الى المنزل..

وبعد وصولي الى المنزل برفقة عناصر الشرطة قام أحد
العناصر بقرع جرس المنزل حيث كان كل شيء هادئاً في
الداخل وبعد ثوانٍ معدودة فتحت صديقتي ريتا الباب
وكانت طبيعيةً جداً حيث قالت لي باستغراب أين كنت يا
جون لقد قلقت عليكِ جداً..

قام رجال الشرطة باستئذان صديقتي ريتا للدخول
وتفتيش المنزل وكان كل شيء طبيعياً حتى أن باب القبو
كان مقفلاً كما كان... وعندما سألتني عناصر

الشرطة عن مفتاح باب القبو قلت لهم بأن المفتاح مع
والدي في مقاطعة هيوستن... استغرق رجال الشرطة
حوالي نصف ساعة حتى استطاعوا خلع ذلك الباب وقاموا
بتفتيش القبو بدقة ولكنهم لم يعثروا على أي شيء يبرهن
لهم ما كنت أتقوه به..

ظنّنت الشرطة أنني أعاني من مشاكل نفسية ولم يصدقوا
ما قلته لهم ثم طلبوا من صديقتي ريتا أن تأخذني الى
طبيب نفسي كي أتعالج من تلك المشاكل وخرجوا من
المنزل تاركيني في صدمة من كلّ ما يحدث..

أما ريتا فأخذت تضميني وتقول لا تخف يا جون سأصحبك
الى أمهر الأطباء في صباح الغد..

قال لي الطبيب النفسي:

الخوف من اللا شيء هو إحدى الأمراض الناتجة عن خلل
في بعض الخلايا العصبية في الدماغ..

التفكير في الماضي.. الإرهاق.. المشاكل العائلية.. كل هذا
يؤثر سلباً على تلك الخلايا العصبية..

طلب مني الطبيب الاسترخاء وعدم التفكير في الماضي
وكتب لي بعض الأدوية المهدئة وأنا كنت في حال يرثى
لها وكأني بدأت أقتنع أن ما حدث في ليلة الأمس كانت
مجرد أحلام اليقظة كما سمّاها لي الطبيب..

عدت للمنزل بصحبة ريتا وأنا شبه مقتنع بكلام ذلك
الطبيب... وفي ليلِ ذلك اليوم نامت ريتا في حوالي
الساعة العاشرة والنصف مساءً.. نامت وهي تضميني بكلمات
يديها وكأنها طفلة صغيرة.. ولا أنكر أنها كانت تبدو
كالملائكة وهي نائمة..

أما أنا فلم أجرؤ على إغلاق جفناي خوفاً من تلك
الكوابيس التي تلاحقني أو ربما كنت أنتظر قدوم منتصف
الليل حتى أبرهن لنفسي بأن كل ما حدث في الليالي
السابقة كانت فعلاً "أحلام اليقظة"

مرّ الوقت ببطءٍ وهو يعانق هدوءَ الليل المظلم حتى
سمعت صوت الساعة الجدارية التي أعلنت انتهاء ذلك
اليوم وكان كل شيء طبيعياً حتى ذلك الحين.. نظرت إلى
ريتا نظرةً أحيية ثم قررت النوم في أحضانها الدافئة
وليتني لم أفعل..

لم أكن نائماً هذه المرة حين سمعت ذلك الصوت الذي
يناديني من القبو.. حتى ريتا التي كانت تنام كالأطفال في

أحضاني اختفت وكأنها لم تكن..

نهضت من فراشي الدافئ وتوجهت الى الأسفل هنالك
حيث رأيت ريتا تمشي ببطيء نحو مدخل القبو.. صرخت
أناديبها باسمها لكنها لم تلتفت لي وكأنها جثة ميتة يتم
تحريكها عن بعد. وما كان مني إلا اللحاق بها من بعيد
حتى أرى بنفسى ما يحدث..

دخلت ريتا من باب القبو وأنا أراقبها على بعد خطوات
حتى وصلت الى منتصف ذلك القبو المظلم ثم خرج طيفٌ
من أحد جدران القبو وبدأ يسير الى جسد صديقتي ريتا..
وحين تمعنت في ذلك الطيف وجدته يشبه أختي الصغيرة
كل الشبه عدا أنها كانت مشوهةً بشكل شيطاني..

وقفت ريتا أمام ذلك الطيف المخيف وامتزجت به بطريقة
لا تستوعبها أعين البشر ثم بدأت ريتا ترتفع عن الأرض
وكان الجاذبية الأرضية لم تعد تشملها. كان جسمها يرتفع
عن الأرض شيئاً فشيئاً حتى التصقت بسقف القبو ثم
أخذت تتشبث بالسقف بأطرافها وكأنها عنكبوت أو ما

شابه.. كل هذا وعيناى تكادان تنبثقان من منبعهما مما
أشاهده..

كان جسمي قد تشنج من مشاهدي لذلك المنظر وفوق
هذا الرعب كله التفت لي ريتا بوجهها الذي يكاد ينفصل
عن جسمها وبدأت تنادينى قائلة: انزل يا جون.. انقذني يا
جون. لا أعلم كيف استطاعت قدمي أن تخطو بعد هذا
الرعب كله لأعود بخطواتي الى الورااء وأهرب من المنزل
الى حيث أجد من يinqذني مما أنا فيه..

ذهبت إلى مركز الشرطة لكنهم هذه المرة لم يصدقوا ما
اقوله فما كان مني

الى الخروج الى احدى حداق المدينة كمتشرد خائف
يبحث عن الأمان. وصلت الى الحديقة منهكاً من شدة
التفكير ثم رميت جسدي على أحد مقاعدها الخشبية
العتيقة وخلدت في نوم هائى. ورغم البرد الذي كان
يتصارع مع جسدي في ذلك اليوم إلا أنها كانت المرة
الأولى التي أنام بها من غير كوابيس تورقني منذ انتقلنا

الى هذه المدينة..

وفي صباح اليوم التالي أيقظتني طفلة في الثانية عشر
من العمر.. أيقظتني وهي تمسك بيدها الرقيقة فطيرةً
ساخنة موضوعةً في كيسٍ ورقي لتقول لي بصوتها
العذب: خذ هذه الفطيرة من أجلك.. لا أعلم لما ابتسم
ثغري رغم المهاجس التي مررت بها في الأيام السابقة..
ربما كنت أضحك لظنها أنني أحد مشردي المدينة..

اعتدلتُ في مجلسي ثم أخذت منها تلك الفطيرة وأنا
أرمقها بابتسامة لطيفة.. ثم دعوتها للمكوث بجانب ريثما
اتناول الفطيرة. جلست تلك الطفلة بجانبني وسألني
قائلة: لماذا تنام في الحديقة ألا تملك منزلاً تحتمي به من
برد الشتاء..

لست أدري لِم كان الصمت جوابي عن استفسارها البريء
ذاك. ولست أدري السبب الذي جعلني أشعر بالدفء وهي
بجانبني إلا أنني كنت أردد في أعماقي بأن هذه الطفلة هي
رمزٌ من رموز الخير في هذه المدينة..

خرجت عن صمتي بسؤال يشبه سؤال الطفلة فقلت لها:
وهل تمتلكين أنتِ منزلاً.. فأجابتنني بصوتها الطفولي
العذب: نعم لدي منزل جميل يقع في منتصف المدينة..

لا أعلم لما ارتاح قلبي لتلك الطفلة فكنت أنظر إليها والى
معطفها ذو القبعة الصوفية التي تكاد تخفي ملامح وجهها
العذبة وأسألها عن منزلها الذي يبعد أميالاً عن هذا المكان.
لكني حين سألتها عن سبب خروجها من المنزل في هذا
الوقت الباكر قالت: خرجت أبحث عن عائلتي..!

في هذه اللحظة بالذات اجتاحني الخوف والاستغراب..
لكني لم أظهر

خوفي أمامها إنما تابعت معها سائلاً: وأين هي عائلتك
أيتها الطفلة..؟

فأجابتنني بشيء من البرود الممزوج بالحقد لقد تركوني
وهاجروا من البلدة.. وضعت يدي على قبعة الطفلة
ونزعتها عنها وكانت صدمتي حين رأيت أختي الصغيرة
التي قُتلت منذ أكثر من ثلاثة عشر سنة..

خرجت أركض هارباً من تلك الحديقة تاركاً أختي
وفطيرتها اللعينة على ذلك المقعد الخشبي العتيق. ثم
بدأت أجوب المدينة بحثاً عن تفسير لكل ما يحدث..،
وصلت الى الشارع الرئيسي الذي كان مكتظاً بالناس..،
كنت أبحث عن أي شيء يخرجني من تلك الأجواء
الشيطنانية ولكنني بعد بحثٍ لا جدوى منه وقعتُ يائساً
أبكي على حافة الطريق بين المارة..، وما أقسى المارة
حين لا يكثرثون لمجنونٍ مثلي..

وبين بكاءٍ منهمر وخوفٍ دفينٍ شعرت بكفٍّ سيدةٍ عجوز
قد انحنت تواسي حالتي اليائسة. نظرت في وجه تلك
العجوز فكانت ملامحها مألوفة لي وكأنني قد رأيتها من
قبل..،

انحنت العجوز لي ممكسةً بعكازها الخشبي ثم أردفت
تقول: انهض يا جون. كنت أنظر لها بشيءٍ من الاستغراب
نهضت من مكاني متسائلاً في ذهني عمّن تكون هذه
العجوز وكيف عرفت اسمي رغم أنني غريب عن هذه

المدينة..!

ورغم الخوف الذي احتلّ كياني إلا أنني سرت مع تلك العجوز بكامل إرادتي. أدخلتني العجوز الى بيتها الواقع على أطراف تلك المدينة ثم ذهبت تصنع لي كوباً من النعناع الساخن. أما أنا فكنت منغمساً في مشاهدة الرسومات الماسونية المعلقة على جدران المنزل..

كان في ذهني آلاف الأسئلة التي لم أجد لها جواباً واحداً منذ انتقالي الى هذه المدينة... ولعل هذه العجوز تنقذني مما أنا فيه وليتها فعلت ذلك..!

بعد قليل من الوقت عادت تلك العجوز ممسكةً بكوب النعناع وطلبت مني الجلوس على الطاولة الرخامية الواقعة في منتصف ذلك البيت الضخم..

جلسنا على الطاولة وكان سؤالني الأول لتلك العجوز هو: كيف عرفت اسمي؟

تنهدت العجوز وكأنها تنفث من زفيرها تاريخاً من الألم ثم

قالت: أنا عمّتك يا جون أنا الأخت الكبرى لوالدك "ريمون"..

نظرت الى تلك العجوز والى تجاعيد وجهها التي تحكي
سنين العذاب الذي تعرضت له.. كنت في صدمةٍ مما
أسمعه حتى أنني نسيت كل ما كان يخزنه عقلي من أسئلة
مكتفياً بسؤالٍ واحد وهو: لماذا أخفى عني أبي أمرًا يا
عمّة؟

كانت ليلةً مليئةً بالصدمات بالنسبة لي..، اخبرتني عمتي
كل الأسرار التي تتعلق بموت أختي الصغيره وكم كان
صعباً عليّ معرفة بأن قاتل أختي هو أبي.....
كان أبي من عبدة الشيطان وكما أخبرتني عمتي أنه قد
قدم أخته الصغرى كأضحية للشيطان.. أتذكر مرة أنني
سألته عن عائلته وقال لي أنهم قد ثوفوا إثر حادث سير..،
لقد كذب أبي عليّ وعلى أمي وعلى الجميع..
وأخبرتني عمتي أن روح أختي ستظل مسجونةً في ذلك
القبو الى أن نضحى بدماء أحدهم بدلاً منها..

خرجت من منزل عمتي وكانت الشمس تلوح في الأفق
البعيد وتوجهت مسرعاً نحو منزلي القديم لأنقذ صديقتي
ريتا من روح أختي التي تتمثل بجسدها..

وصلت المنزل مع غروب شمس ذلك اليوم وبدأت أقرع
الباب بطريقة همجية وأنا أنادي عليها بصوت مرتفع..
فتحت ريتا الباب وقبل أن تنطق بحرف واحد أمسكت
بيدها وأخذتها من المنزل..

ذهبنا الى أحد فنادق المدينة وهناك بدأت أسرد لصديقتي
ريتا كل ما يحدث..

وفي مساء ذلك اليوم اتصلت بوالدي وطلبت منه المجيء
الى المدينة بحجة

أنني قد تعرضت لحادثٍ أليم وطلبتُ منه أيضاً عدمَ اخبار
أمي كي لا تقلق علي..، وكانت غايتي الوحيدة من طلبي
هي الإنتقام من أبي كي ترتاح روح أختي الصغيرة..

في صباح اليوم التالي خرجنا من الفندق وذهبنا الى

منزلي القديم... كنت قد خططت لكل شيء برفقة
صديقتي ريتا التي وضعت بعضاً من الشاش الطبي حول
رأسي وجلسنا ننتظر قدوم أبي الى ذلك المنزل..

كانت الساعة تقارب الواحدة بعد الظهر حين وصل أبي
للمنزل حيث نزلت ريتا وفتحت له باب المنزل وبعد أن
لقى التحية على ريتا صعد أبي لغرفتي وحاول التخفيف
عني..

كنت أعلم أنه سيدخل الى ذلك القبو وخاصةً بعد أن
يلاحظ بابه المفتوح... استأذن مني والدي قائلاً لي
ولصديقتي ريتا بأن نُجهزَ أمتعتنا للرحيل... ثم تركنا في
الغرفة ونزل ليتفقد القبو..

أما أنا فلحقت به ممسكاً بعضاً خشبية متينة وقمت بضربه
من الخلف على رأسه وألقيته داخل القبو حتى ينال شرّاً
أعماله الشيطانية..

كنت أسمع صوت جسد الذي يرتطم بجدران ذلك القبو

المخيف وكان الشياطين تلعب بجسده كما يلعب الأطفال
بالكرة المطاطية.. بكيت كثيراً في ذلك اليوم.. بكيت على
أختي وعمتي اللواتي ضحى بهنّ أبي للشيطان الذي يعبده
وبكيت حتى على أبي الذي أسمع صوت تحطّم عظامه
داخل القبو..

وها أنا الآن أتّم عقدي الواحد والعشرين من السجن
وكأنني أدفع ثمن جرائم أبي وشياطينه اللعينة وهل يفنى
الأمل من غد أفضل..!

تمّت